كلمة الدكتور موفق دعبول
في حفل استقبال الدكتور عبود السراج

أيها السيدات والسادة

السيد الأستاذ الدكتور مروان المحاسني، رئيس مجمع اللغة العربية

السادة الزملاء أعضاء المجمع

السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فإني أشكر لكم اهتمامكم بهذه المناسبة، مناسبة استقبال عضو جديد في المجمع هو الأستاذ الدكتور عبود السراج..

وإني أشكر السيد رئيس المجمع لاختياري لتقديم العضو الجديد إليكم، أمرٌّ على شخصيته وتميزه وتألقه وإنجازاته.. أعرّفكم به، وإن كنت أعتقد أن الحاضرين أو على الأقل جلّهم، يعرفون الدكتور السراج، وربما يعرفه بعضهم أكثر مما أعرف، فعذراً لهؤلاء...

وإني أرجو أن أتمكن من تسليط الضوء على القليل من سيرته، آملاً أن أوفّيه بعض حقّه.

ولعلّ بعضكم يتساءل لماذا اختارني رئيس المجمع لأقدّم الدكتورَ السراج، إذ إنّ اختصاصي العلمي هو في أحد العلوم البحتة، في حين

اختصاص الدكتور السراج هو في الحقوق.. هذا صحيح، غير أننا نشترك بأمر هام هو عشق اللغة العربية. وفضلاً على ذلك، التواصل فيما بيننا، يمتد إلى ما يزيد عن ثلاثين سنة.. كنا معاً أعضاء في بعض لجان التعليم العالي. وكنت أرسل إليه البحوث العلمية في الحقوق للتحكيم والنشر في مجلة جامعة دمشق للبحث العلمي، إذ كنت وقتها رئيس تحرير هذه المجلة.. ثم في مجلس جامعة دمشق حيث كان عميداً لكلية الحقوق.. وإنّا معاً عضوان في مجلس أمناء مؤسسة القدس...

وامتدت الصلة بيننا لتصل إلى زيارات متبادلة وإلى لقاءات بمناسبات عدة، فأتاحت لي هذه الزيارات المزيد من المعرفة عن شخصيته وعن أفراد أسرته، وخاصةً زوجته الأستاذة القديرة الدكتورة سلوى الشيخ..

وإني أنتهز المناسبة الآن لأحدّثكم عن الملامح الهامة لشخصية الدكتور السراج..

إن أول ملامح هذه الشخصية هو الهدوء والثقة بالذات، وإذا ما تحدث، فإن عباراته واضحةٌ ومدروسة، وأفكاره مستندة إلى رؤية موضوعية، وقلّما يغضب بانفعال، بل يقتصر الأمر على ارتفاع بسيط في صوته.

وهو حسن التواصل مع الآخرين إلى حدٍّ بعيد، وعندما يكون هناك حوار حول فكرة ما، فإننا قد نختلف بعض الشيء، اختلافاً لا يفسد للودّ قضية، ولا يصل أبداً إلى درجة الخلاف. وكم يكون هذا الاختلاف مفيداً في تقديم مزيد من الإيضاح للفكرة المطروحة..

وأما عن علاقته بزوجته فهي علاقة تكاملية، ليس فيها تسلط من طرف على آخر...

وهذا لا يعني أن كلًّا منهما نسخة عن الآخر، بل قد يحصل اختلاف يساعد على الوصول إلى رؤية واحدة.

اسمحوا لي الآن أن أبدأ الحديث عن حياة الدكتور السراج، قبل الحديث عن إنجازاته العلمية ونشاطاته على المستوَيَيْن العربي والدُّولي..

وُلد العضو الجديد في مدينة دير الزور أواخر عام ١٩٣٦.

حصل على الإجازة في الحقوق عام ١٩٦٠ من جامعة دمشق، ثم على دبلوم الدراسات العليا في العلوم الجنائية عام ١٩٦٨ من جامعة باريس، وعلى دبلوم الدراسات العليا في القانون الخاص عام ١٩٦٩، وعلى دكتوراه في الحقوق عام ١٩٧١ من جامعة باريس «السوربون».

التحق بالتدريس في كلية الحقوق بجامعة دمشق عام ١٩٧١، وأصبح رئيساً لقسم القانون الجزائي عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٩٩.

ثم أستاذاً في كلية الحقوق منذ عام ١٩٨١. تولى منصب عميد كلية الحقوق بجامعة دمشق من عام ١٩٩٩-٢٠٠٣.

وجرى اختياره أستاذاً في الجامعة اللبنانية وجامعات أردنية.

قضى في جامعة الكويت أربع سنوات أستاذاً مساعداً من عام ١٩٧٦-١٩٨٠.

وبعيداً عن الوظائف العلمية والإدارية العلمية في الجامعات، يمارس الدكتور السراج المحاماة والاستشارات القانونية منذ عام ١٩٦٠.

كما شغل منصب قاضٍ في مجلس الدولة من عام ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٤.

يحمل الدكتور عبود السراج وسام «السعفة الأكاديمية» بدرجة فارس من الحكومة الفرنسية، وهو حائزٌ جائزة أفضل أطروحة دكتوراه في القانون الجزائي والعلوم الجنائية لعام ١٩٧١ - كلية الحقوق، من جامعة السوربون.

شارك الدكتور السراج في لجان عديدة منها لجنة إعداد مشروع قانون

العقوبات العسكري السوري، ولجنة إعداد مشاريع قوانين العقوبات والإجراءات الجنائية والمخدرات والأحداث والمخالفات في دولة الكويت، وكان عضو لجنة إعداد تعديل قانون العقوبات، وأصول المحاكمات الجزائية السورية منذ عام ١٩٨١ وعضو لجنة إعداد مشروع القانون الجزائي الدولي والمحكمة الجزائية الدولية عام ١٩٨٣.

- عضو الجمعية الدولية لقانون العقوبات ١٩٧٥-٢٠٠٩.
- رئيس لجنة إعداد مشروع القانون العربي النموذجي الموحَّد للمخدرات، مجلس وزراء الداخلية العرب ١٩٨٣-١٩٨٦.
- رئيس لجنة إعداد مشروع الاستراتيجية العربية لمكافحة الاستعمال غير المشروع للمخدرات والمؤثرات العقلية - مجلس وزراء الداخلية العرب ١٩٨٣-١٩٨٧.
- عضو ومقرر لجنة إعداد قانون المخدرات الجديد في سورية ١٩٩٢-١٩٩٣.
- عضو لجنة تعديل القوانين الجزائية في سورية ١٩٩٥-٢٠٠٩.
- عضو اللجنة المتخصصة في الجرائم المستجدة - مجلس وزراء الداخلية العرب - الأمانة العامة، ١٩٩٣-١٩٩٤.
- عضو مجلس إدارة أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ١٩٩٦-١٩٩٨.
- رئيس الوفد السوري إلى اللجنة المخصصة لوضع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية والبروتوكولات الملحقة بها في فيينا خلال الأعوام ١٩٩٩-٢٠٠٠-٢٠٠١، والتي انتهت بوضع هذه الاتفاقية والبروتوكولات الثلاثة، والتوقيع عليها

في مدينة باليرمو بإيطاليا، في المدة من ١٢-١٥ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

- رئيس الوفد السوري إلى اللجنة المخصصة لوضع اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد، التي انعقدت جلساتها في فيينا، خلال الأعوام ٢٠٠١-٢٠٠٢-٢٠٠٣، والتي انتهت بوضع الاتفاقية وتوقيعها في جزيرة ميريدا في المكسيك، في المدة من ٩-١٢ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣.
- خبير دوليٌّ معتمد من الأمم المتحدة للمشاركة في لجان تطوير التشريعات الوطنية في الدول الأعضاء واقتراح مشاريع المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية والثنائية، منذ عام ١٩٩٥حتى هذا التاريخ.
- رئيس لجنة وضع قانون العقوبات الجديد في الجمهورية العربية السورية ٢٠١٣-٢٠١٥.
- رئيس تحرير مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية منذ عام ٢٠١٣.

أما مؤلفاته العلمية فللدكتور السراج ما يزيد عن عشَرة كتب ومئة بحث منشورة باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية في مجلات علمية في مواضيع شتى. ومن أهم هذه الكتب:

- التشريع الجزائي المقارن في الفقه الإسلامي والقانون السوري (جامعة دمشق ٥٣٤ صفحة).
- قواعد الطعن في الأحكام الجزائية (جامعة دمشق ٢٢٥ صفحة).
- علم الإجرام وعلم العقاب (جامعة الكويت ٥٦٨ صفحة).

- قانون العقوبات القسم العام (طبعة أولى ٤١٣ صفحة، وطبعة ثانية ٥٢٤ صفحة - جامعة دمشق).
- الجرائم الاقتصادية (٢٥٠ صفحة - جامعة دمشق).
- الوجيز في علم الإجرام وعلم العقوبات (٢٧٠ صفحة - جامعة دمشق).
- شرح قانون العقوبات - النظرية العامة (٥٢٧ صفحة - جامعة دمشق).
- شرح قانون العقوبات الاقتصادي في التشريع السوري والمقارن (٢٧٦ صفحة - جامعة دمشق).
- المبادئ العامة في قانون العقوبات نظرية الجريمة (٢٦٠ صفحة - جامعة دمشق).
- المبادئ العام في قانون العقوبات نظرية العقوبة (٢٤١ صفحة - جامعة دمشق).
- النظريات الكبرى في علم الإجرام وعلم العقاب (٢٥٤ صفحة - جامعة دمشق) بالاشتراك مع د. صفاء أوتاني.
- قانون العقوبات الخاص - الجرائم الاقتصادية والجرائم الواقعة على الأموال (٣٥٥ صفحة - جامعة دمشق) بالاشتراك مع د. صفاء أوتاني.
- شرح قانون العقوبات العام - القسم العام (٨١٥ صفحة - جامعة دمشق).
- شرح قانون العقوبات الاقتصادي (٤٥٠ صفحة - جامعة دمشق).
- شرح قانون العقوبات الاقتصادي في التشريع السوري والمقارن (٦٣٥ صفحة - جامعة دمشق).

- شرح قانون العقوبات العام (٨٢٧ صفحة - جامعة دمشق).
- وهناك عدد كبير من البحوث باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية.

ومن قراءة مؤلفات (الدكتور السراج) من كتب وبحوث، نلاحظ بوضوح تام المسحة الفلسفية والاجتماعية والإنسانية على جميع هذه المؤلفات، والتي أضفت على فهمه العميق للقانون نكهة خاصة.

١- فإذا أخذنا أول كتاب ألّفه تحت عنوان : «التشريع الجزائي المقارن في الفقه الإسلامي والقانون السوري»، الذي قدّم له الأستاذ الدكتور محمد الفاضل، وصدر عن جامعة دمشق في عام ١٩٧٦، ويُدرَّس فيها حتى هذا التاريخ، نلاحظ أن الدكتور السراج يرى في مقدمة هذا الكتاب أن الجرائم في الإسلام هي جرائم أخلاقية، لأن الشريعة في جوهرها ترتبط ارتباطاً كاملاً بالله تعالى، وبضمير الفرد وخُلق الجماعة، والضمير والأخلاق بالمفهوم الإسلامي يقومان على قواعد أساسية حدّدها القرآن والسُّنة، وهي في مجملها ترمي إلى بناء مجتمع إسلامي، مضمونه الرحمة والعدل، مجتمعَيْن بمفهومهما الواسع.

٢- أما المسحة الإنسانية والاجتماعية فتظهر في كتابه «علم الإجرام وعلم العقاب»، الذي صدر عن جامعة الكويت في عام ١٩٨٠. (فالدكتور السراج) ينظر إلى الجريمة بوصفها ظاهرة اجتماعية، ثم يتعمق في دراسة السلوك الإجرامي، ويبيّن أسبابه والوقاية منه، ودور القانون والمؤسسات الحكومية والأهلية في علاجه.

ويشير المؤلف إلى فكرة لها دلالتها عندما يشرح أسباب الجريمة ويحلّلها فيقول:

«وبعد مئة عام من البحث عن أسباب الجريمة يقف العلماء متسائلين: إذا كنا نصِف الشخص الذي يقتل إنساناً في غابة بأنه مجرم ونحكم عليه بالإعدام، فبماذا نصف رئيس دولة عظمى، يصدر أمره عند نهايات الحرب العالمية الثانية بإلقاء قنبلتين ذريتين على مناطق مأهولة بالسكان، وهو يعلم بأنهما سوف تقضيان على الإنسان والحرث والزرع والنسل فيها على مدى عقود طويلة من الزمن؟».

٣- ويتابع (الدكتور السراج) مسيرته الإنسانية في كتابه: «شرح قانون العقوبات العام» الذي صدر في طبعته الخامسة عن جامعة دمشق في عام ٢٠١٤. فبعد أن يشرح أركان الجريمة وقواعد العقاب ويناقشها ويحلّلها، يؤكد أهمية إعمال «مبدأ تفريد العقاب» الذي نوديَ به مع إعلان شِرْعة حقوق الإنسان. ويهدف هذا المبدأ إلى ضرورة «تأهيل المجرم اجتماعيًّا لإعادة إدماجه في المجتمع من جديد، لأن الجريمة كما يقول (لومبروزو) تمثل الماضي، أما المجرم فيمثل المستقبل، أو كما يقول علماء الاجتماع، وعلى رأسهم (أوغست كونت): «إن السلوك الإجرامي هو سلوك إنساني».

٤- ثم يجمع (الدكتور السراج) القانون والاقتصاد والسياسة في كتابه «شرح قانون العقوبات الاقتصادي» الذي صدر في طبعته الأخيرة عن جامعة دمشق في عام ٢٠١٠. ونقتطف من هذا الكتاب تحليل المؤلف للأزمات الاقتصادية العالمية، وانعكاساتها السياسية والاجتماعية على الإنسان والمجتمع والدولة. فهو يقول

في مقدمة كتابه: «لقد استطاعت الدول الرأسمالية أن تتجاوز الأزمات الاقتصادية الكبرى، ومنها أزمة عام ١٩٢٩، وأزمتيْ الحربين العالميتين الأولى والثانية، بإعادة توزيع المستعمرات والأسواق المالية العالمية، والقيام بامتدادات جغرافية بغية الاستيلاء على الثروات الاستراتيجية وعلى رأسها النفط. وقد تطلّب ذلك افتعال حروب في أماكن مختلفة من العالم، منها حرب الخليج الأولى والثانية، وحروب سرِّية في عدد غير قليل من دول العالم. إلى أن جاءت هجمات ١١ أيلول عام ٢٠٠١، التي تبعتها الحرب على أفغانستان ثم العراق واحتلالهما عسكريًّا بحجة مقاومة الإرهاب ومنع امتلاك أسلحة الدمار الشامل».

ويكتفي (الدكتور السراج) بالإشارة إلى الأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨ مجرد إشارة سريعة لأن نتائجها لم تكن معروفة بعد.

لقد صدر كتابه مع بداية أحداث ما سمي بالربيع العربي، فهل في نيّته عندما يُصدر طبعة جديدة من كتابه في المستقبل أن يقول إن أحد الأسباب الهامة لما جرى ويجري حالياً في دول عربية من قتل ودمار وتقسيم وتجزئة وتمزيق وهجرة هو نتيجة للأزمة المالية العالمية لعام ٢٠٠٨؟

لقد فرغت خزائن المصارف الأمريكية في عام ٢٠٠٨، وكان الحل لهذه الأزمة في إعادة مَلْء هذه الخزائن. وهكذا تدفق السلاح المصنّع في الدول الرأسمالية الكبرى إلى المنطقة العربية كالطوفان، ثم تبعه بالمقابل تدفق الأموال العربية كالطوفان إلى خزائن الدول التي تاجرت بالسلاح.

أيها الحضور الكرام:

هذا هو الأستاذ الكبير الدكتور عبود السراج الذي انضم إلى زملائه أعضاء

المجمع. وإني آمل أن يكون رفداً هامًّا لهذا المجمع يشاركه في مسيرته لأداء دوره الهام في شأن من أهم شؤون بناء الأمة، حفاظاً على لغتها.. وهي العنصر الأهم في بناء هذه الأمة.. ولا خير في أمة لا تحافظ على لغتها مستجيبة للحاجات المتزايدة لجعل هذه اللغة متلائمة مع التطور الحضاري...

إني أُهنّئ الصديق العزيز الأستاذ الدكتور عبود السراج بانضمامه لهذا المجمع (الذي كان الأستاذ الراحل الدكتور شاكر الفحام ينعته بمجمع الخالدين)، وأُهنّئ المجمع بهذا العضو الجديد.

أشكر لكم حسن إصغائكم والسلام عليكم ورحمة الله

* * *